

أدب المكاتبة في ردّ الإمام علي عليه السلام على كتاب معاوية

محمد خاقاني أصفهاني^١، سيدة ربحانه ميرلوحى^٢

تاريخ الوصول: ۱۴۳۰/۷/۱۲

تاريخ القبول: ۱۴۳۰/۹/۲۵

يتضمن الكتاب الثامن والعشرون من رسائل «نُهج البلاغة» على نقاط بلاغية هامة يكشف النقاب عنها في هذا البحث ويقارن بكتاب معاوية تبيناً لبلاغة كتاب الإمام علي (ع) وكما يكون مثلاً يقتدي به ويجتذى حذوه في إنشاء الرسائل وخاصةً الرسائل الجوابية وكذلك يبين هذا البحث تطابق بلاغة الكتابين المشتملة على صور المعاني والبيان والبديع والأغراض الأخلاقية والسياسية للكتابين: بفرض معاوية كالمبدأ البادئ للمكاتبة والإمام علي (ع) المجيب على الرسالة، وبالتالي يتبين أنّ الأخلاق التي هي أمر معنوي تتولّى الجماليات الروحية والبلاغة كظاهرة لسانية تتعهد جماليات اللغة وبينهما علاقة وثيقة.

الكلمات الرئيسية: أدب الرسائل، البلاغة العربية، الجمال الفني، الأخلاق، الإمام علي عليه السلام.

١. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان

٢. طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان

أدب المكتبة في ردّ الإمام علي عليه السلام ... _____ مجلة العلوم الانسانية الدولية، ۲۰۱۰/۱۴۳۱ هـ.ق، العدد ۱۷ (۴)

المقدمة

من الباحث الهامة في علم اللغة، العلاقة الوثيقة وفي الحقيقة «الواحدة» بين اللغة والمعنى وأخلاق الإنسان من الجوانب المعنوية الروحية التي تتجلى في تصرفاته الخارجية، خاصة في كلامه والمعاملات الإجتماعية التي أساسها اللغة الشفاهية والكتابية؛ لذلك يعتبر كلام الإنسان وسيلة لمعرفة شخصيته الروحية، كما يقول الله تعالى في الذكر الحكيم خطاباً للنبي (ص): «ولتعرفنهم في لحن القول» (محمد، ۳۰). ويقول الإمام علي (ع): «تكلّموا تُعرفوا فإن المرء مخبئٌ وراء لسانه» (نهج البلاغة، الحكمة ۳۹۲)، أو: «ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلّا ظهرَ في فلتاتِ وجهه وصفحاتِ لسانه» (ن. م، الحكمة ۲۶) ويقول في موقف آخر: «رسولك ترجمانُ عقلك وكتابك أبلغُ مانطقِ عنك». على هذا الأساس فإن محور البحث في مقاله دراسة الجوانب الأخلاقية والبلاغية التي من مظاهر اللغة للكاتبين، لمعرفة كيفية هذا التأثير والتأثر: التأثير من جانب روح الإنسان ونواياه الأخلاقية، وتأثر لغته بذلك. قبل البدء تأتي بتعريف الكتاب والكتابة وتاريخ موجز من الكتاب و الكتابة في عصر صدر الإسلام.

الكتاب لغة:

هو مصدر «كتبه يكتبه كتباً وكتاباً»: خطّه. الكتاب: ما يكتب فيه و- الدواة. - و التوراة والصحيفة. و الفرض والحكم والتقدير. (الفيروز آبادي، ۱۴۱۵ هـ ق. مادة كتب). والكتاب: الصحف المجموعة، والرسالة (ج) كتب. و القرآن، والتوراة والإنجيل. (أنيس، إبراهيم وزملاؤه، ۱۳۹۲ هـ. ق، المادة نفسها). والمقصود بالبحث هنا من بين المعاني المذكورة هو معنى «الرسالة».

الكتاب اصطلاحاً

الكتاب اصطلاحاً هو ماينتج عن صناعة الكتابة وهي كما يقول صاحب موادّ البيان عبارة عن صناعة روحانية تظهر بألة جسمانية ويعني بالروحانية الألفاظ والعبارات التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسها وبالجممانية الخطّ الذي يخطّه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد-أن كانت صورة معقولة باطنة- صورة محسوسة ظاهرة، وهذا التحديد يشمل جميع مايسطره القلم ممّا يتصوره الذهن ويتخيله الوهم، فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو مستفاد من المعنى اللغوي إلّا أنّ العرف فيما تقدّم من الزمان قد خصّ لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتّى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها غير كاتبها (القلقشندي، هـ ق ۱۴۰۷، ج ۱، ص ۸۲ بتصرف).

الفرق بين الكتاب والرسالة

١- الفرق بينهما لغوياً

الكتاب من حيث اللغة مصدرٌ للفعل الثلاثي المجرد؛ «كتب يكتب» كما مرّ آنفاً، وأيضاً مصدرٌ لباب المفاعلة من المادة نفسها قياساً؛ يقال «كاتب يكتب مكاتبةً وكتاباً». واسم آلة على غير القياس، أي ما يكتب به وهو الدواة. والمعنى المتبادر منه ليس وجه المصدر المجرد أو المزيد بل أحد المعاني المذكورة في بيان معناه اللغوي ومنها الرسالة. وأمّا الرسالة لغةً فهي اسم مصدر من الإرسال والإرسال يأتي بمعنى التسليط، والإطلاق، والإهمال والتوجيه (الفيروز آبادي، المصدر نفسه، مادة رسل). وجميع معاني مادة «رسل» ترجع إلى معنى واحد وهو الإنبعث والإمتداد. يقال: «ناقة رسالة: لاتنفك سيقاً، ولينة

محمد خاقاني اصفهاني، سيده ريحانه ميرلوحى _____ مجلة العلوم الانسانية الدولية، ۲۰۱۰/۱۴۳۱ هـ.ق، العدد ۱۷ (۴)

المهاجرين والأنصار الذي جعل من الفريقين نواةً للأمة الإسلامية ومن المدينة عاصمةً لدولة الإسلام (نايف معروف، ۱۴۱۰ هـ.ق، ص ۶۵-۶۸، بتصريف واختصار).

وهكذا ازدهرت صناعة الكتابة في عصر صدر الإسلام وكلما زادت رقعة الإسلام اتساعاً زاد فن الكتابة رواجاً وازدهاراً لأنها صارت أداةً لبيان الأغراض السياسية والحربية والدينية وما إلى ذلك من الأغراض.

وتقسّم الكتب والرسائل بوجه عام على قسمين: القسم الأوّل: الرسائل التي يرتجل ويتبدأ بها، والقسم الثاني: الرسائل والكتب التي صدرت جواباً عن رسالة أو كتاب، ويقول القلقشندي (المرجع نفسه، ج ۶، ص ۳۱۰): أن كتب الأجابة أعلى رتبة وأبلغ في صناعة الكتابة وفيها تظهر مهارة الكاتب وحذقه وتذكر له دلائل وهي:

«۱- أنّ المبتدئ محكم في كتابه يبتدئ بألفاظه كيف يشاء ويقطعها حيث يشاء.. ۲- أنّ المحيب إذ كان جوابه محتماً للإشباع والتوسع، مضطر إلى اقتصاص ألفاظ المبتدئ واتباعها للإجابة عنها وذلك يؤدي إلى تصفح كلام المبتدئ والمحيب ويصل ما بين الكلامين، لأنّ الكلامين يتقابلان فلا تخفي رتبتهما والفاضل منهما من الرذل، وهذا مرفوعٌ عن المبتدئ.

۳- أنّ تأليف الكلام وانتظامه واتساقه والتثامه يقدر منها المبتدئ على ما لا يقدر عليه المحيب لأنّ الجواب يفصل أجزاء الكلام ويبدّد نظامه ويقسّمه أقساماً. يمكن الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول أمّا كذا وأمّا كذا فظهور الصورة المستحسنة في المتصل أكثر من ظهورها في المنفصل».

وبما أنّ كتاب الإمام علي(ع)- كما أشير في الملخص- ردّ على كتاب معاوية نأتى في هذه المقالة بكتاب معاوية

المفاصل» (ابن فارس، أحمد، ۱۴۰۴ هـ.ق، ج ۲، مادة رسل).

۲- الفرق بينهما في مصطلح الإنشاء

الكتاب عبارة عمّا يوجّه إلى الغير منظماً في السطور مخطوطاً، والرسالة عبارة عن الكلام المرسل إلى الغير كتابةً أو لساناً ويرادفها: «المرسل، الرسيل، الجراية، الكتاب، المنشور، المرسوم، الملائك، الملائكة، البطاقة، النطاقه، الألوك والمألّكة» (غالب، حتّا. ۱۴۱۷ هـ ق، ص ۴۰۰). فعلى هذا تكون النسبة بينهما عموم وخصوص مطلق؛ إذ كلّ كتاب رسالة وليس كلّ رسالة كتاباً.

الكتابة والكتاب في عصر صدر الإسلام

وقد رفع الإسلام من شأن الكتابة حيث جعل أداها وهي القلم، أداةً للتعليم وقال جلّ شأنه «اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم» الفلق/۳-۴. وكان النبي (ص) يدرك أنّ للكتابة أثراً كبيراً في نشر الدعوة الإسلامية وظهر اهتمامه بها منذ أوائل عهده بالإسلام وعمل على تعليم الكتابة لأتباعه وقال(ص): من حقّ الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة... (مسند الفردوس للديلمى، نقلاً عن نايف معروف، ۱۴۱۰ هـ.ق، ص ۶۶).

ونظراً لحاجة الرسول إلى الكتابة، فقد اتخذ كتاباً له بعضهم يكتبون الوحي منهم الإمام علي بن أبي طالب(ع) وعثمان بن عفان وآخرون يكتبون بين يديه في أمور الناس عامّة وللمسلمين خاصّة، منهم خالد بن سعيد ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة والعلاء بن الحضرمي وأبي ابن كعب وغيرهم. وكانت مهمّة هؤلاء الكتاب أن يكتبوا ما يملئهم الرسول(ص) بأمانة متناهية، لا يزيدون حرفاً ولا ينقصون وكان أول ما أمر بكتابته كتابه بين

أولاً لنعرض مافيه من الوجوه البلاغية وبعض النقاط الأخلاقية السلبية:

الوجوه البلاغية في الفقرة الأولى:
١- الاستعارة التصريحية في «أنقذ به من العماية» حيث استعار العماية للضلالة.

٢- الإضافة التشبيهية في «نار الإفك».
٣- الاقتباس في «أيده وآزروه ونصروه».
٤- السجع (٦) ستّ مرات في مواضع مختلفة: «رسالته، وحيه، شريعته» و«العماية، الغواية» و«الشرك، الإفك».

الفقرة الثانية: الهجمة الكلامية على الإمام علي(ع)

فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيتّه الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الأمر وظهره، ودست عليه وأغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصره، وسألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته، وما يوم المسلمين لك بواحد! لقد حسدت أبابكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدّته وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى إنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه ثم لم تكن أشدّ منك حسداً لابن عمك عثمان، نشرت مقابحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ثم في دينه ثم في سيرته، ثم في عقله وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتى قتلوه بمحض منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد، وما من هؤلاء إلا بغيت عليه، وتلكأت في بيعته، حتى حُملت إليه قهراً تساق بجرائم الإقتسار كما يساق الفحل المخشوش، ثم نهضت الآن تطلب الخلافة، وقتله عثمان خلصاً وسجراً والمخدقون بك، وتلك من أمانى النفوس وضلالات الهواء.

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة

الهجمة الكلامية ظاهرة بارزة في كلّ هذه الفقرة من كتابه وتنطوي على الأقسام التالية:

الفقرة الأولى: في تحميد الله سبحانه وتعالى

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى جدّه اصطفى محمداً عليه السلام لرسالته، واختصه بوحيه وتأدية شريعته، فأنقذ به من العماية، وهدى به من الغواية، ثم قبضه إليه رشيداً حميداً قد بلغ الشرح، ومحقّ الشرك، وأحمد نار الإفك، فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه. ثم إنّ الله سبحانه اختص محمداً عليه السلام بأصحاب أيده وآزروه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه لهم: «أشداء على الكفار رحماء بينهم» فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة، الخليفة الأوّل الذي جمع الكلمة، ولمّ الدعوة وقاتل أهل الردّة، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصرّ الأمصار وأذلّ رقاب المشركين، ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفة.

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة

١- كتمان الحقيقة: المفروض أنّه كان يعلم جيداً أنّ الإمام علي(ع) كان أوّل مؤمن بالله وبالإسلام من الرجال وأجاب دعوة النبي(ص) وقام بواجبه نحو الإسلام في عصر النبي(ص) وبعده إلى أن استشهد ولا دليل لإخباره بأنّ الأصحاب أيدوا النبي(ص) وهو في قمة الأصحاب بل وفي قمة أهل بيت النبي(ص) أيضاً، في حين أنّه كنتم الحقيقة ولم يصرح بشأن الإمام الخاص بين الأصحاب ثمّ إنّ رتب الأصحاب في درجات من الفضل وأعطى الدرجة الأولى للخليفة الأوّل ثمّ للخليفة الثاني ثمّ للثالث بدون أن يبرهن عليه أو يأتي بدليل عقلي أو نقلي، ففي هذه الفقرة علاوة على كتمان الحقيقة دعوي بلا بينة.

- ٣- الطباقي في «بطن الأمر وظهره».
- ٤- المقابلة بين «نشرتَ مقابجه وطويتَ محاسنه».
- ٥- تكرر «ثمَّ» خمس مرّات في الفقرة: ثمَّ كرهتَ خلافة عمر وحسدته... ثمَّ لم تكن أشدَّ منك حسداً... ثمَّ في دينه، ثمَّ في سيرته، ثمَّ في عقله، ثمَّ هضتَ الآن تطلب الخلافة.
- ٦- تكرر أسلوب واحد أربع مرات وهو كما يلي:
- (١) استغويت عصابةً من الناس حتّى تأخروا عن بيعته
- (٢) أظهرت الشماتة... حتى إنك...
- (٣) أغريت به السفهاء... حتّى قتلوه
- (٤) تلكأت في بيعته حتّى... .
- ٧- تشبيه التمثيل في: «تساق بجرائم الإقتسار كما يساق الفحل المخشوش».
- ٨- مراعاة النظر بين لسان ويد.
- ٩- السجع في مواضع مختلفة.
- ١٠- تكرر بعض الأفعال مرّتين في المواضع المختلفة: بغيته الغوائل وبغيته، أغريت به وأغريت السفهاء، قعدت حيث استنصرك وقعدت في بيتك، حسدت أبا بكر وحسدته.

- ١١- مراعاة مقتضى الحال: الحال عند معاوية هو إنكار فضل الإمام(ع) وتوجيه الإفتراء نحوه لأجل إثارة الغضب، ومقتضى الحال تكرر الخطاب والصرحة في الألفاظ.

الفقرة الثالثة: الدعوة إلى الشورى والإعلان عن عدم

طاعته للإمام علي(ع) بالحرب والقتال
فدع اللجاج والعبث جانباً، وادفع إلينا قتلة عثمان وأعدّ الأمرشورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضاءاً. فلا بيعة لك في أعناقنا، ولا طاعة لك علينا، ولا عتبي لك عندنا وليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف، والذي لا

١- العشوائية في الكلام: وهذه يعني أنّه لم يتروّ قبل كلامه إذ نشاهد أنّه يوجّه افتراءات متتالية نحو الإمام علي(ع).

٢- تشويه الحقيقة: ويظهر هذا العيب فيما نسبه إلى الإمام علي(ع) من إغرائه شيعته وأصحابه لقتل عثمان وتاريخ الإسلام شاهدٌ على أنّ معاوية شوّه الحقيقة بل لبس الحق بالباطل وكنمه.

٣- الإفتراء وتوجيه التهمة: قد افتري على الإمام (ع) بأنّه عدا على الإسلام وحذله-عوذاً بالله- وكيف هو خاذل الإسلام ولم يكفر به طرفه عين؟ وهو الفاتح يوم بدر وأحد وخيبر وأحزاب وغيرها من الأيام الحاسمة والمصيرية وهو القاعد في بيته يجمع القرآن ولم يتدخل في السقيفة حفظاً للإسلام وتجنّباً من شقّ عصا المسلمين وإشعال النار بينهم؟ كما افتري على الإمام بأنّه حسد الخلفاء وأظهر الشماتة بمصابه وحاول قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه، والإمام علي(ع) لم يحسد وكان بمعزلٍ عن ذلك، كيف وهو ترك الدنيا وقال لها «غرّي غيري» وإثما الحسد نتيجة التزاحم على الأرباح الماديّة والدينيّة.

الوجه البلاغية في الفقرة الثانية:

١- تكرر خطاب الإمام علي(ع) اثنان واربعون(٤٢) مرّة متعاقبة وهو تكررٌ مملٌ دون تفنن في أضراب الكلام سبعة وعشرون(٢٧) منه استعمال الخطاب بفعل الماضي وضمير(ت) من مثل: عدوت عليه، بغيته، ضربت، دسست، أغريت، قعدت... وهذا التكرار يتناسب و الهجمة الكلامية الموجهة نحو الإمام(ع)- كما أشرنا في العيوب الأخلاقية- وكأنّه يريد بهذا التكرار المتتالي تثبيت أقواله.

٢- الإستعارة المكنية في «سألك» لأنّ السؤال نسب إلى الإسلام وهو من لوازم المستعار منه، الإنسان.

لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الإمتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالإمتنان على الله يبطل أجر الجهاد، ويجعله «كصفوان عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرّون على شيءٍ مما كسبوا و الله لا يهدي القوم الكافرين».

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة:

١- تشويه الحقيقة: كما مرّ في الفقرة الثانية، فادّعائه بأنّ الإمام(ع) يمتنّ بسابقتها في الإسلام خلاف الحقيقة وما سجّل لنا التاريخ من سيرته وسلوكه.
٢- الإفتراء: فقد افتري عليه بما هو بريء منه ومتره عنه وهو امتنانه على الله سبحانه بجهاده، وكيف ذلك وهو يضحيّ بنفسه وماله في سبيل الله ويعرض نفسه للأخطار حتّى أنزل الله سبحانه الآية الكريمة: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوفٌ بالعباد» البقرة/٢٠٧. (الطباطبائي، ١٣٩٤ هـ. ق، ج٢، ص١٠١).

الوجوه البلاغية في الفقرة الرابعة:

١- المذهب الكلامي في «إذا كان الإمتنان... فالإمتنان على الله يبطل أجر الجهاد».
٢- الاستشهاد بالقرآن الكريم بآية: «يؤمنون عليك أن أسلموا...».

٣- الإقتباس: «ويجعله كصفوان عليه تراب...».

٤- حسن الإنتهاء: بدليل إنتهاء كتابه بآية قرآنية شريفة. وبعد هذا البحث في كتاب معاوية، حان الأوان لننقل ردّ الإمام علي(ع) عليه وإثمه (ع) كيف واجهه، وردّه هذا يشتمل على فقرٍ كالآتي ونذكر ما فيها من الوجوه الأخلاقية والبلاغية.

إله إلّا هو لأظلمنّ قتلة عثمان أين كانوا، وحيث كانوا، حتّى اقتلهم أو تلتحق روعي بالله.

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة:

١- الفحش في الكلام: في قوله «دع اللجاج والعبث جانبا» والإمام علي(ع) متره عنها بشهادة التاريخ والمسلمين كافةً.
٢- سوء الأدب في الخطاب: حيث طلب منه ما ليس من مسؤولياته، فإنّ قتلة عثمان ليسوا تحت رعايته وأمر المسلمين لم يكن بيده بل بيد المسلمين جمهورهم وهم الذين أعادوا على الإمام علي(ع) ما استحقّ من الإمامة والولاية وخلافة المسلمين.

الوجوه البلاغية في الفقرة الثالثة:

١- الإطناب من نوع تكرر الأسلوب والتأكيد في: لا بيعة لك في أعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبي لك عندنا.
٢- أسلوب الحصر لأجل التأكيد في قوله «ليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف».
٣- الكناية في كلمة السيف عن القتال.
٤- الكناية في: «أو تلتحق روعي بالله»، وهو كناية عن موته في الحرب.
٥- التكرار في «أين كانوا وحيث كانوا».
٦- السجع في «أعناقنا علينا وعندنا».

الفقرة الرابعة: في الإفتراء على الإمام علي(ع) بأنّه يمتنّ بسابقتها في الإسلام والجهاد

فأمّا مالا تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك فإني وجدتُ الله سبحانه يقول: «يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمّنوا على إسلامكم بل الله يمتنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين» الحجرات/١٧. ولو نظرت في حال نفسك

٤- الكناية عن النسبة في الكلام نفسه: لأن قوله حياً لنا الدهر... ينسب إلى معاوية إخفاء باطن أمره وسريته.
٥- الإبداع: إذ أن الجملة الواردة مشتملة على ثلاثة فنون من فنون البيان والبديع.

٦- تشبيه الجمع المضمّن التمثيل (خاقاني، ١٣٧٦ هـ. ش، ص ١٥١) في قوله: «فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي مسدده إلى النضال» فقد شبه عليه السلام معاوية بناقل التمر أو داعي مسدده إلى النضال والمشبّه به من نوع الإمثال ومن جهة وجه الشبه، تشبيه التمثيل.

٧- السجع في قوله: «إذ طفقت... عندنا ونعمته علينا في نبينا».

الفقرة الثانية: في الرد على مزاعم معاوية في تفضيل الصحابة وترتيب درجاتهم

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَ كُلُّهُ وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ وَ مَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ وَ مَا لِلطُّلُقَاءِ وَ أَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ وَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأُولَى وَ تَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَ تَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وَ طَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا أَلَا تَرَبُّعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْمِكَ وَ تَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ وَ تَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدْرُ فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ وَ لَا لَكَ ظَفْرُ الطَّافِرِ.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الثانية:

إن الإمام على (ع) في هذا القسم يريد أن يبيّن معاوية على الإبتعاد عن أمور لا تعنيه أبداً وهو ترتيب درجات أصحاب النبي (ص) فقد راعى في ردّه هذه النقاط الأخلاقية:

١- الإجابة بالمنطق السليم: في قوله «إن تمّ اعتزلك كله وإن نقص لم يلحقك ثلمه» و«مأنت والفاضل

دراسة حول الوجوه الأخلاقية والبلاغية في كتاب الإمام علي (ع)

الفقرة الأولى: في الإجابة عن إخباره بما هو أعلم منه من نصر النبي (ص) أصحابه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ اصْطَفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لِدِينِهِ وَ تَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ حَبَّأْنَا لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ طَفَقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيَّنَا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كِنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ وَ دَاعِي مُسَدِّدٍ إِلَى النَّضَالِ.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الأولى:

إن الإمام بيّن معاوية على خطئه في إخباره بما هو أعلم منه لذلك يبدأ كتابه في الفقرة الأولى بابتداء حكمي ويتمّها بالحكمة:

الابتداء الحكمي: « لقد حبّأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله تعالي عندنا».

الحكمة: تشتمل على مثلين شهيرين شبه بهما معاوية وقوله في كتابه: «فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي مسدده إلى النضال».

الوجوه البلاغية في الفقرة الأولى:

١- الإقتصاص^١: إذ يبدأ كلامه باقتصاص موجز من أول كتاب معاوية وهو: «تذكر فيه اصطفاء الله محمداً وتأيدته إياه بمن أيده من أصحابه».

٢- حسن الابتداء^٢ في قوله: «ولقد حبّأ لنا الدهر منك عجباً» لأن هذا الكلام في مفتتح الكتاب يؤثّر في نفس القارئ التأثير الذي للكتاب كله.

٣- الاستعارة المكنية في: «لقد حبّأ...» حيث شبه الدهر بإنسان ونسب إليه ما يخصّ الإنسان من فعل الإخفاء والإستتار.

يمكنه هذا الحكم ، وأكد ذلك بمثل يدور في هذا المضمار وهو: « لقد حنّ قدح ليس منها».

٥- الكناية في «قصور ذرعك».

٦- الإستفهام الإنكاري في ثلاثة مواضع : «ما أنت والفاضل....» و«مالللقاء وأبناء الطلقاء....» و«ألا تريع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف....».

٧- الإستعارة التمثيلية المضمّن المثل في قوله: «هيهات لقد حنّ قدحٌ ليس منها».

٨- فنّ العنوان في قوله: « ومالللقاء وأبناء الطلقاء» بدليل الاشارة التاريخية المذكورة سابقاً.

٩- المقابلة في قوله: « إن تمّ.... وإن نقص...»، وقوله «فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر».

١٠- تضمين المثل في قوله: « طفق يحكم فيها من عليه

الحكم لها».

١١- الإبداع في: ما لللقاء.... بدليل المحسنات البلاغية المذكورة في الجملة.

١٢- السجع في مختلف المواضع (خمس مرّات): كله وثلمه، المفضول و المسوس، درجاتهم وطبقاتهم، فيها ولها، ظلعك وذرعك .

الفقرة الثالثة: في دفع الإمام عليه السلم هجمته عليه

بأنه(عوذاً بالله) عدا على الإسلام!

وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي تَبِيهِ رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ أَلَّا تَرَى- غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَ لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحْدِثُ- أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدًا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَ حَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي

والمفضول...» ويجيء شرحه في المذهب الكلامي من الوجوه البلاغية.

٢- عتابه بالإستفهام الإنكاري: ما أنت والفاضل والمفضول.....

٣- دعوى بالبينة: الإشارة التاريخية الموجزة إلى أحداث صدر الإسلام لإثبات بطلان ما ادّعه معاوية في قوله: ومالللقاء و أبناء الطلقاء^٣

٤- حسن الأدب: من مواضع حسن الأدب في هذه الفقرة أنّ الإمام(ع) يخاطب الإنسان بدل خطاب معاوية مباشرة حين يقول: «ألا تريع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك».

٥- الحكمة: وهو الإتيان بالمثل الشهير لبيان تدخل معاوية في أمور لا تعنيه: «لقد حنّ قدحٌ ليس منها» .

الوجوه البلاغية في الفقرة الثانية:

١- الإقتصاص: في قوله «وزعمت أنّ افضل الناس في الإسلام...».

٢- الكناية في «فلان وفلان» حيث كُتبي عمّن صرّح معاوية بأسمائهم.

٣- المذهب الكلامي في قوله « إن تمّ اعتزلك كله وإن نقص لم يلحقك ثلمه»، قد بين الإمام علي(ع) بأنّ حكم معاوية بالتفضيل عبثٌ لأنّه إذا كان حقاً فلا يمتّ إليه بصلة وإن كان باطلاً لا يلحقه نقصه وبطلانه فالإنسان العاقل لا يتدخّل فيما لا يعنيه.

٤- المذهب الكلامي في « ما أنت والفاضل والمفضول و...» فقد بين الإمام بأنّ المعرّف كقضية مسلمة القبول يجب أن يكون أجلى وأنبى من المعرّف وبما أنّه ليس بهذه المترلة لأنّه من أبناء الطلقاء ومن عصابتهم - كما مرّ- فلا

المفاخرة لا كمثل المفاخرات التي تنبعث عن التكبر والإعجاب بالنفس بل مفاخرة منبثة عن دفاع الإمام (ع) عن شخصيته وردّ هجمة معاوية عنه. ويأتي علي (ع) بدلائل موثقة على تلك المفاخرة الحقّة وهي:

١- بيان استشهاد الحمزة (ع) عمّ النبي (ص) وجعفر ابن أبي طالب (ع) ودرجتهم الرفيعة في الإسلام وخدمتهما في نصر النبي (ص) التي لم يذكرها معاوية عند ذكر أصحاب ومؤيدي النبي (ص).

٢- المقارنة الصادقة بين قومه وقوم معاوية وماضيتهما في الجاهلية والإسلام: «منا النبي (ص) ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف.....».

٣- الإستشهاد بآيات القرآن الكريم في بيان الأولوية: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض...» و«إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا...».

٤- حسن الأدب: في قوله «ذكر ذاكر» ولم يقل (ع) لذكرت حذراً من الإعجاب بالنفس.

٥- التبليغ: في قوله «فضائل حمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمحّها آذان السامعين»، وذلك كمقدمة لبيان فضائله.

٦- الحكمة: وهي الإتيان بهذا المثل: «فدع عنك من مالت به الرمية» لتبني معاوية على الإبتعاد عن حيل عمرو العاص. (راجع للتفصيل: حسن زاده آملی، م، ن، ص ١١٤).

الوجوه البلاغية في الفقرة الثالثة:

١- مراعاة مقتضى الحال: والحال هي إنكار معاوية فضل الإمام علي (ع) في الإسلام وسابقته وسابقته أقاربه، ومقتضى الحال في إجابة الإمام هو الاطناب السليم والبلوغ في هذا القسم.

الْحِجَّةُ وَ ذُو الْحَاحِئِينَ وَ لَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِهِنَّ الْمَرْءَ نَفْسُهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ حِمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَا تَمُحُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ فَدَعَّ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَ لَا عَادِي طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ حَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَتَكْحَنَّا وَ أَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَ لَسْتُمْ هُنَاكَ وَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَ مَنَّا النَّبِيُّ وَ مِنْكُمْ الْمُكْذِبُ وَ مَنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَ مَنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ وَ مَنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ مِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَ عَلَيْكُمْ فِإِسْلَامُنَا مَا قَدْ سَمِعَ وَ جَاهِلِيَّتِنَا لَا تُدْفَعُ وَ كِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا وَ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهِ وَ أَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ أَوْلَى النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقُرَابَةِ وَ تَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ وَ لَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَلَجُّوا عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ وَ إِنْ يَكُنْ بَعِيرُهُ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الثالثة:

هذه الفقرة جواباً عمّا أورد معاوية على الإمام علي (ع) من الفرية والبهتان العظيم وادّعائه عشوائياً أنّه عدا على الإسلام ونصب له الغوائل: ولذلك نراه (ع) يردّ هجمته ويصرّح بأنّه ذاهبٌ في الضلال ومائلٌ منحرفٌ عن سبيل الرشد ويذكر أمجاد أقاربه الأولين من مثل حمزة سيّد الشهداء (ع) وجعفر الطيّار (ع) ومما يذكر بما قام به أعمام وأجداد معاوية من المقاتلة والحرب ضد الإسلام. وكان من الواجب جواباً عن معاوية لردّ هذا الافتراء أن يفتخر ويباهي بمذهبه المفاخر؛ والسّمة الغالبة على هذه الفقرة يعني

١٣- التمثيل في «إنا صنائع ربنا و الناس بعد صنائع لنا»، كما يقول الزمخشري: اصطنعتك لنفسي تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم. (نقلًا عن حسن زاده، م.ن، ص ١١٥).

١٤- التفتن في « لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزَّنَا وَ لَا عَادِي طَوْلَنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا » استفاد الإمام من هذا الأسلوب بدل أن يقول «نحن أعز منك ومن قومك».

١٥- المقابلة-ست مرات- بين مايقارن الإمام من قومه وقوم معاوية: « مَنَا النَّبِيُّ وَ مِنْكُمْ الْمُكذَّبُ وَ... »

١٦- الإيقاع وجزالة الألفاظ في الكلام نفسه: استفاد الإمام (ع) من الألفاظ التي لها التأثير في ذهن المخاطب أو قارئ الرسالة، ولم يصرح باسم من أسمائهم وكان من الممكن أن يقول: مَنَا حَمَزَةٌ وَمِنْكُمْ أَبُو سَفِيَانٍ... ولكن جاء بصفاتهم التي اشتهروا به لتذكير مقامهم وللإيقاع في السمع.

١٧- التذييل في قوله «في كثير مما لنا وعليكم» لأن المعنى قبله كامل وإنما زيد هذا الكلام لتشبيته وتوكيده.

١٨- الإيجاز بالحذف في قوله «إسلامنا قد سمع وجاهليتنا لاتدفع» يعني تقدمنا في الإسلام وشرفنا في الجاهلية.

١٩- الإستشهاد بآيتين من القرآن الكريم: «أولو الأرحام بعضهم...» و«إن أولى الناس...».

٢٠- الإبداع (مرتين) في: « تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين» وفي «منا النبي ومنكم المكذب.....».

٢١- السجع في المواضع المختلفة (أربع مرات): «المؤمنين... السامعين»، «فإنا صنائع ربنا... لنا»، «عزنا و طولنا و بأنفسنا، أنكحنا ونكحنا فعل الأكفاء»، «دونكم ودعواكم».

٢- المبالغة في كلمتي: «ذهاب» في التيه و«رواغ» عن القصد، لبيان شدة ضلالة معاوية وميله عن الحق في التهم الموجه نحو الإمام(ع).

٣- الإستفهام الإنكاري في قوله: «ألا ترى.. أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين و الأنصار» يعني أنك ترى ولكن تتجاهل وتستتر الحقيقة، وفي قوله: «أولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله...».

٤- الإحتراس في قوله: «غير مخبر لك» ليقول لمخاطبه معاوية إنك لست بأهل أن يخاطبك مثلي(حسن زاده، م.ن، ج ١٩، ص ١١٣).

٥- الإحتراس أيضاً في قوله: «ولكن بنعمة الله أحدث» وهو لأجل الإحتجاب من توهم المخاطب ، مفاخرة الإمام بنفسه عن غير الحق.

٦- تنكير المسند إليه في قوله: «ذاكر» لمراعاة حسن الأدب، مر ذكرها في الوجوه الأخلاقية.

٧- التبليغ في قوله: «فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين».

٨- الإستعارة التصريحية في «ولا تمجها آذان السامعين»: شبه الآذان بإنسان يلقي لعب فمه إلى الخارج، ولا تمجها يشير إلى عدم ملال السامعين عن استماع فضائل الإمام(ع).

٩- مراعاة النظير بين «قلوب و آذان».

١٠- الجناس بين «جمّة وتمج».

١١- تضمين المثل في « فذع عنك من مالت به الرمية».

١٢- الإيهام في لفظ «من» في «فدع...»، فإن المراد بمن فيه إيهام واحتمل شارحوا نهج البلاغة وجوهاً حولها. (حسن زاده، م.ن، ص ١١٤).

الفقرة الرابعة: في الرد على اتهامه بالحسد على الخلفاء

الثلاثة

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَ عَلَيَّ كُلِّهِمْ بَغَيْتُ
فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجَنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ الْعُدْرُ
إِلَيْكَ وَ تِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا وَ قُلْتَ إِنِّي كُنْتُ
أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ وَ لَعَمْرُ اللَّهِ
لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وَ أَنْ تَفُضِّحَ فَافْتَضَحْتَ وَ مَا
عَلَيَّ الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ
شَاكًا فِي دِينِهِ وَ لَا مُرْتَابًا بِيَقِينِهِ وَ هَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ
فَقَصْدُهَا وَ لَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الرابعة:

يردّ الإمام الإتهام بحسده على الخلفاء الثلاثة ، بالحلم
والحكمة والتعريض إرشاداً وبرهاناً:

١- الحلم: من سمات الحلم في إجابة الإمام(ع) أنّه
لايستفزّ غضباً من تلك المهجمة الكلامية في الفقرة الثانية
من كتاب معاوية بل يجيب بالصفح الجميل في قوله: «فإن
يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك ..» وقوله جواباً عن
تشبيه معاوية: « ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت
..»

٢-الحكمة: وهو تضمين المثل في كلامه «وتلك شكاة
ظاهر عنك عارها».

٣- التعريض في قوله: «وما على المسلم من غضاة
مالم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه» ولا يشير مباشراً
إلى نفسه ولا يصرّح باسمه لأجل أن يكون الكلام كلياً
يرشد الآخرين أيضاً.

٤- البرهان في كلامه (ع) للرد على التهم يتجلى في
كلامه(ع): «فإن يكن ذلك كذلك..»ولقد أردت أن

تذمّ فمدحت..» وسيجئ بيانه في المذهب الكلامي من
الوجوه البلاغية.

الوجوه البلاغية في الفقرة الرابعة:

١- الإقتصاص في « وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء
حسدت...» و« قلت أنّي كنت أقاد كما يقاد الفحل
المخشوش».

٢-المقابلة في « فليس الجناية عليك فيكون العذر
اليك»و«لعمر الله لقد أردت أن تذمّ ..».

٣-المذهب الكلامي في«فإن يكن ذلك كذلك فليس
الجناية عليك...» لأنّ الإمام (ع) يبتل بهذا الكلام، وفق
أحكام القضاء، أن يكون لمعاوية حقّ في تدخّله بشأن غيره،
دون أن يكون وصياً أو ولياً له.

٤- تضمين المثل في«تلك شكاة ظاهرعنك عارها».

٥-المذهب الكلامي في: « لقد أردت أن تذمّ فمدحت
وأن تفضح فافتضحت»، لأنّ الإمام (ع) أثبت بهذا الكلام
أنّ الإجماع لم يحصل للخلافة بعد النبي(ص) لأنّ معاوية أقرّ
بأنّ الإمام أجبر على ذلك.

٦- التذييل في قوله: «هذه حجتي إلى غيرك قصدها
ولكنني أطلقت لك منها بقدر ماسنح من ذكرها»، لتأكيد
الكلام السابق وليبيان أنّ هذا الكلام لم يكن رداً على
كتاب معاوية فحسب بل حجّة إلى الآخرين أيضاً.

٧-السجع في المواضع المختلفة (ثلاث مرّات):
«كذلك، عليك، اليك» و«مدحت، فافتضحت»
و«قصدها، منها ذكرها».

٨- الإبداع في قوله: «فليس الجناية عليك..» وفي
قوله«لقد أردت أن تذمّ فمدحت...» بدليل اجتماع
ثلاثة فنون بديعية فيه(المقابلة، المذهب الكلامي، السجع).

الفقرة الخامسة: تختص بالإجابة عن أمره وأمر عثمان

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَيَّ مَقَاتِلَهُ أَمْ مِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَفَعْدَهُ وَ اسْتَكْفَهُ أَمْ مَنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمُتُونِ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ كَلًّا وَ اللَّهُ لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَاتِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْتَقِمَ عَلَيْهِ أَحَدًا فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ وَ قَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحَ (وَ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ).

معرض سوء الظن .ولاصحةً لملامة معاوية الإمام في أمر عثمان لأنه كملوم لا ذنب له.

٥-البرهان(دعوي بالبينه) في قوله: « فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَيَّ مَقَاتِلَهُ أَمْ مِنْ بَدَلٍ لَهُ ..»لأن الإمام يبين دليل عداوة معاوية على عثمان.

الوجوه البلاغية في الفقرة الخامسة:

- ١- الإستفهام التقريري في: « فأينا كان أعدي له..»، يريد أن يقرّر مخاطبه معاوية على خطاه.
- ٢- المقابلة في«أمن بذل له نصرتهأمن استنصره فتراحي عنه».

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الخامسة

في هذه الفقرة أيضاً يقابل الإمام بين نفسه ومعاوية ليعين خطاه للآخرين ولمعاوية نفسه، وبما أنه استغلّ قتل عثمان ضد الإمام علي(ع) وكان الإمام بريئاً من تلك التهم يواجبه(ع) بهذه الوجوه الأخلاقية :

- ٣-المذهب الكلامي في« فأينا كان أعدي له.....»لأن معاوية تراخي عن نصرته عثمان فقصر في حقه، وأما الإمام (ع) فاستعدّ لنصرته.
- ٤- الإقتباس: «قد يعلم الله المعوقين منكم...» و«ما أردت إلا الإصلاح...».
- ٥- تضمين المثل في: « فربّ ملوم لا ذنب له» و«وقد يستفيد الظنّة المنتصح».

١- تبين الحقيقة في قوله: «فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى ..»

٢-المقارنة الصادقة بين معاملتهما تجاه عثمان في سياق الإستفهام التقريري في الكلام نفسه .

الفقرة السادسة: ردّ الإمام تهديد معاوية بالحرب والإعلان عن استعداده له

وَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَ لِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وَ بِالسُّيُوفِ مُخَوِّفِينَ لَبِثَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٍ فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبَعِدُ وَ أَنَا مُرْقَلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٌ فَتَأْمُهُمْ مُتَسَرِّبِلِينَ سَرَبَالِ الْمَوْتِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ قَدْ

٣-الإقتباس من القرآن الكريم لإثبات تأخر معاوية عن نصرته عثمان«لقد علم الله...».

٤- الحكمة: وهي تضمين المثليين في ردّه عليه: «فربّ ملوم لا ذنب له» و «قد يستفيد الظنّة المنتصح» بهذين المثليين بين الإمام(ع) مثله في قضية عثمان بأنه كان بعيداً عن تلك التهم ولكن بسبب مداخلته السليمة في قضايا عثمان لإنقاذه بمثابة المنتصح الذي يقع بعض الأحيان في

والإمام يطلب معاوية ليجزيه و(ما تستبعد) كناية عن انهزام معاوية في القتال وكان يستبعد ذلك.

٦- الكناية في «ساطع قتامهم» كناية عن كثرتهم وعدوهم نحو العدو.

٧- الإستعارة المكنية في «متسربلين سرايل الموت».

٨- الإقتباس في « ماهي للظالمين ببعيد».

٩- حسن الإنتهاء في الكلام نفسه: حيث ينهي الإمام كلامه بآية قرآنية كني به عن ظلم معاوية كما أن معاوية ختم كلامه بآية قرآنية لإثبات بطلان أجر الإمام(ع) في الجهاد!.

١٠- أسلوب الحصر في قوله: «عن الأعداء ناكلين وبالسيف مخوفين» وهو جواب الحصر في كتاب معاوية: ليس لك ولأصحابك عندي إلا السياف.

١١- السجع في «ناكلين، مخوفين» و«زحامهم، قتامهم» و «اليهم ربهم» و«بدرية، هاشمية».

١٢- الإبداع في: «سيطلبك من تطلب ويقرب منك ماتستبعد».

نتائج البحث:

تطرقنا في هذا البحث إلى دراسة كتاب معاوية ورد الإمام علي (ع) عليه في الكتاب الثامن والعشرين من نهج البلاغة الذي وصفه الشريف الرضي جامع نهج البلاغة بهذا الوصف: «وهو من محاسن الكتب»، درسناهما من الناحيتين: الأخلاقية والبلاغية، والآن بين أيديكم حصيلة البحث: استحصاء الفنون البلاغية من الكتابين وفق الجدولين التاليين ومقارنتهما:

صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً وَ سَيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ
نَصَالِهَا فِي أَحْيَاكَ وَ خَالَكَ وَ حَدَّكَ وَ أَهْلَكَ وَ مَا هِيَ مِنْ
الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ.

الوجه الأخلاقية في الفقرة السادسة:

في هذه الفقرة يرد الإمام على تهديد معاوية بالحرب ويعلم عن استعداده لرد أي هجمة عليه بالبسالة والشجاعة البالغين والحكمة والوعيد والتبليغ:

١- الشجاعة في قوله «متي ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين..» حتى آخر الفقرة.

٢- الحكمة في الإتيان بهذا المثل: «لَبَّثَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَاءَ حَمَلٌ».

٣- الوعيد في قوله: «سيطلبك من تطلب ويقرب منك ماتستبعد» فيشير الإمام(ع) إلى استعداده (ع) للحرب وانهزام معاوية على الترتيب.

٤- التبليغ في قوله: «أنا مرقلٌ فحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار و التابعين لهم ..».

الوجه البلاغية في الفقرة السادسة:

١- الإستفهام للنفي في «متي ألفت بني عبد المطلب...» يعني لم تلف.

٢- تضمين المثل في قوله: «لَبَّثَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَاءَ حَمَلٌ».

٣- الخبر للوعيد في «سيطلبك من تطلب ويقرب منك ماتستبعد».

٤- المقابلة في الكلام نفسه.

٥- الكناية (التعريض) في من تطلب وما تستبعد، المقصود (بمن تطلب) الإمام علي(ع) نفسه لأنه يطلبه

أدب المكتبة في ردّ الإمام علي عليه السلام ... _____ مجلة العلوم الانسانية الدولية، ٢٠١٠/١٤٣١ هـ.ق، العدد ١٧ (٤)

الفنون البلاغية في كتاب الإمام علي(ع): (من ٣٢ سطرا)

الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد
١	المقابلة	١٢ (مرة)	٩	الإستشهاد بالقرآن الكريم	٢	١٧	حسن الإنتهاء	١	٢٥	تكثير المسند إليه	١
٢	الاستفهام (الانكاري، التقريري، التوبيخ)	٨ (مرات)	١٠	التذليل	٣	١٨	أسلوب الحصر	١	٢٦	مراعاة النظر	١
٣	تضمين المثل	٧	١١	الاحتراس	٢	١٩	التكميل	١	٢٧	التبليغ	٢
٤	الكناية	٦	١٢	المبالغة في اللفظ	١	٢٠	الإبداع	٧	٢٨	الإيجاز	١
٥	المذهب الكلامي	٥	١٣	التشبيه	١	٢١	العنوان	١	٢٩	مراعاة مقتضى الحال	في كلّ الفقرات
٦	الإستعارة	٥	١٤	تناسب اللفظ والمعنى	٦	٢٢	الجناس		٣٠	السجع	٢٠
٧	الإقتصاص	٤	١٥	الوعيد	١	٢٣	الإمام				
٨	الإقتباس	٣	١٦	حسن الإبتداء		٢٤	التفنن				

الفنون البلاغية في كتاب معاوية: (من ٢٢,٥ سطرا)

الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد
١	تكرار الخطاب	٤٢	٦	المقابلة	١	١١	أسلوب الحصر	١
٢	تكرار الأسلوب	١٤	٧	الإقتباس	٢	١٢	الوعيد	١
٣	التشبيه	٢	٨	الإستشهاد بالقرآن	١	١٣	حسن الإنتهاء	١
٤	الكناية	٢	٩	المذهب الكلامي	١	١٤	السجع	١٠
٥	الطباق	١	١٠	مراعاة النظر	١	١٥	مراعاة مقتضى الحال	١

من مثل: الكناية، الإستعارة، المقابلة، المذهب الكلامي، تضمين المثل، الإستفهام الإنكاري والتقريري.

٧- يستنتج من المقارنة بين الوجوه الأخلاقية والبلاغية في الكتاين، امتزاج الأخلاق واللغة، علي سبيل المثال حلم الإمام وحسن أدبه يقتضي الإجابة بالحكمة، البرهان والتمثيل والكتايات المتعددة، وتشويه الحقيقة في نية معاوية يقتضي تكرار الخطاب المتتالي دون الإتيان بالحجة والحكمة والتمثيل. وهذا يدلنا على أنّ اللغة ظرف المعاني، وتنعكس السمات الأخلاقية على لسان الإنسان.

التعاليم المستفادة من كتاب الإمام علي (ع):

١- كتاب الإمام علي (ع) ردّ على كتاب معاوية، ولكنه كتب بمنهج يستفيد منها الآخرون وذلك بدليل الإرشادات الحكمية والأخلاقية فيه -التي ذكرناها في الوجوه الأخلاقية والبلاغية- من مثل مجيء الأمثال، التعريض، العنوان، الإستشهاد والإقتباس من القرآن الكريم.

٢- ممانعة الإمام(ع) لاستغلاله من قبل معاوية ضدّه وهذه تدلّ على بصيرته تجاه المسائل الإجتماعية والسياسية آنذاك.

٣- تبيين المسائل التاريخية والإجتماعية والسياسية في عصر صدر الإسلام.

٤- تعلّم رسالة الإمام علي(ع) طريق كتابة الرسائل الجوابية خاصة تلك التي توجّه الكذب والإفتراء للمخاطب.

الهوامش

١- لإقتصاص: قال ابن أبي الإصبع المصري في تعريفه: هوأن يقتص المتكلم قصّة بحيث لا يغادر منها شيئاً في ألفاظ قليلة موجزة جدّاً بحيث لو اقتصّها غيره ممن لم يكن في مثل طبقته من البلاغة أتى بها في أكثر من تلك

بعد المقارنة بين هذه الفنون البلاغية استنتجنا الأمور التالية:

١- السمة البلاغية البارزة في كتاب الإمام علي (ع) التنوع البلاغي وهو استعمال الفنون البلاغية المتنوعة لإيصال المعنى إلى ذهن المتلقّي أو المخاطب.

٢- من الجماليات البلاغية في كتاب الإمام علي(ع) التي لا توجد في كتاب معاوية فن الإبداع وهو اجتماع فنين أو أكثر في الجملة وهذا يزيد الكلام جمالاً فنياً وعمقاً.

٣- السمة البلاغية البارزة في كتاب معاوية هو استعمال التكرار(تكرار خطاب الإمام في الفقرة الثانية اثنان واربعون مرّة متتالية) وتكرار بعض الأساليب أربع عشرة مرّة مجموعاً (في الفقرتين الثانية والثالثة).

٤- تنوع الفنون البلاغية في كتاب الإمام علي (ع) ضعف الفنون البلاغية في كتاب معاوية وكتاب الإمام (ع) أكثر مقداراً من كتاب معاوية ولكن ليس بضعف كتاب معاوية.(ر.الجدول) .

٥- انطباق الجوانب البلاغية على المضامين الأخلاقية في الكتاين:

تنطبق السمة البلاغية البارزة في كتاب معاوية وهوالتكرار مع الصراحة في الخطاب على بعض نوايا معاوية بالنسبة إلى الإمام علي (ع) وذلك لإثارة الإمام غضباً في الردّ عليه واستغلال ذلك ضدّه(ع) عند أهل الشام والعراق.^٧

٦- مطابقة الفنون البلاغية للمضامين الأخلاقية في كتاب الإمام علي (ع): إنّ الإمام(ع) لم يتأثر تأثراً سلبياً بكتاب معاوية المشتمل على المهجمة الكلامية ضدّه، بل راعى في كتابه جوانب أخلاقية من مثل: الحلم، الحكمة، الدعوي بالبيّنة، حسن الأدب، تبيين الحقيقة، الشجاعة ويدلّ على ذلك استخدامه فنون البلاغية الأكثر استعمالاً

بعض إذا أخرج يده لم يكده يراه» النور/٤٠. (هاشمي، أحمد. (١٤٢١هـ)، جواهر البلاغة، ص ٣٢٧)
 ٩- يبدو أنّ معاوية يريد أن يثبت عند أهل الشام أنّ الإمام يتبرأ من أبي بكر وعمر وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول (ص) في أمر الخلافة وأهما غصبا حقه ولم يكن ذلك مقصراً على فساد أهل الشام بل وأهل العراق. ومن جملة أعماله القيام بالمكاتبة أو مراسلة الإمام علي(ع)، وتوجيه التهم فيه نحو الإمام بحيث يجرّس الإمام على الإجابة بأمور تجعل ذلك حجّة عليه عند أهل الشام ويضيفه إلى ما قرّره في نفوسهم من ذنوبه. (حسن زاده آملّي، منهاج البراعة، ج ١٩، ص ١٠٥).

المصادر:

- [١] ابن أبي الحديد (١٩٦٢م)، شرح نهج البلاغة، قم، نشر اسماعيليان.
- [٢] ابن فارس، أحمد (١٤٠٤هـ)، معجم مقاييس اللغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي.
- [٣] تفتازاني، سعد الدين (د.ت)، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، قم، مطبعة علامة.
- [٤] حسن زاده آملّي، حسن (١٣٨٩ق)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، طهران، المكتبة الإسلامية.
- [٥] خاقاني، محمد (١٣٧٦ش)، جلوه هاي بلاغت در نهج البلاغة، نشر بنياد نهج البلاغة.
- [٦] شهيدى، جعفر (١٣٧٣ش)، ترجمة نهج البلاغة، ط ٦، طهران، نشر علمي وفرهنگي.
- [٧] طباطبائي، محمد حسين (١٣٩٤ق)، الميزان في تفسير القرآن، طهران، دار الكتب الإسلامية.

الألفاظ. (مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، نقلاً عن ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير، ص ٤٥٩).

٢- ذكر البلاغيون أنّ الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتّى يكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً وأصحّ معنى. وهذه المواضع هي: الإبتداء والتخلص والإنتهاء. والإبتداء أن يكون مطلع الكلام شعراً أو نثراً، أيقناً بديعاً لأنّه أوّل ما يقرع السامع على الكلام ويعيه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن. (مطلوب، أحمد. م. ن، ص ٢١)

٣- عنوان الطلقاء تشير إلى فتح مكّة بيد النبي(ص) والمسلمين في السنة الثامنة من الهجرة وإطلاق الأسرى من مشركي قريش فى الحكم الصادر عن النبي(ص): «اذهبوا أنتم الطلقاء» (يعقوبي، ج ٢، ص ٦٠).

٤- القدح أحد قداح الميسر وإذا كان أحد القداح من غير جوهرة أخواته ثمّ أجاله المفيض خرج له صوتٌ يخالف أصواتها، يعرف به أنّه ليس من جملة القداح، يضرب للرجل يفتخر بقبيلةٍ ليس منها أو يمدّح بما لا يوجد فيه. (حسن زاده آملّي، منهاج البراعة، ج ١٩، ص ٩٦، نقلاً عن الميداني، مجمع الأمثال).

٥- إته مثلٌ وأصله أنّ رجلاً قصد مكاناً وقد عرض عليه أثناء طريقه صيد فجعل يتبعه ليصطاده فشغله عمّا قصد. (نهاية الأرب ، نقلاً عن حسن زاده آملّي، ص ١١٤ و شهيدى جعفر (١٣٧٣هـش)، ص ١٩ و فيض الإسلام (١٣٢٥هـش)، ج ٢، ص ٨٨٧).

٦- التبليغ من أنواع المبالغة في الفنون البديعية، وتعريفه هو أن يدعى المتكلم وصفاً ممكناً عقلاً وعادةً في الشدة أو الضعف، نحو قوله تعالى: «ظلمات بعضها فوق

- [٨] غالب، حتّا (٢٠٠٣م، ١٤٢٢ق)، كتر اللغة العربية، بيروت، مكتبة لبنان، ناشرون.
- [٩] الفاخوري، حتّا (١٩٩١م)، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، بيروت، دار الجليل.
- [١٠] الفيروزآبادي، مجد الدين (١٤١٥ق)، القاموس المحيط، تحقيق شيخ يوسف محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر
- [١١] فيض الإسلام، علي نقمي (١٣٢٦ش)، ترجمة وشرح نهج البلاغة، طهران، مطبعة آفتاب
- [١٢] القلقشندي، أحمد بن علي (١٩٨٧م)، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الفكر
- [١٣] مصري، ابن أبي الإصبع (١٣٦٨ش)، بديع القرآن، ترجمة سيدعلي ميرلوحجي، مشهد، المؤسسة الرضوية.
- [١٤] مطلوب، أحمد (١٩٩٦م)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط٢، بيروت، مكتبة لبنان
- [١٥] معروف، نايف (١٤١٠ق)، الأدب الإسلامي، بيروت، دار النفائس
- [١٦] الهاشمي، أحمد (١٤٢١ق)، جواهر البلاغة، أشرف صدقي محمد جميل، دار الفقه للطباعة والنشر
- [١٧] اليعقوبي (د.ت)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر

ادبیات نامه‌نگاری در پاسخ امام علی (ع) به نامه معاویه

محمد خاقانی^۱، سیده ریحانه میرلوحی^۲

تاریخ دریافت: ۱۳۸۷/۴/۱۴

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۸/۶/۲۴

نامه ۲۸ نهج البلاغه، مشتمل بر نکات بلاغی مهمی است که در این مقاله به آن پرداخته شده و به منظور تبیین بلاغت نامه امام علی (ع) مقایسه‌ای از جهت اخلاقی و بلاغی با نامه معاویه گردیده است. در این راستا از نامه امام علیه السلام می‌توان به‌عنوان الگویی در نامه‌نگاری به خصوص نامه‌های جوابیه بهره برد، از طرف دیگر این تحقیق همخوانی بلاغت دو کاتب با اهداف اخلاقی، سیاسی آنان را بیان می‌دارد و بر این اساس مشخص می‌گردد: اخلاق به‌عنوان امری معنوی عهده‌دار زیبایی‌های روحی و شخصیتی انسان است، و بلاغت به‌عنوان یک پدیده زبانی متولّی زیبایی‌های زبان می‌باشد و بین آن دو ارتباطی پایدار برقرار است.

واژگان کلیدی: ادبیات نامه‌نگاری، بلاغت عربی، زیبایی هنری، اخلاق

۱. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه اصفهان

۲. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه اصفهان